

الجاحظ ينظر إلينا

قلما يحتفظ الإنسان بشيء من آثار الصبا .. فإذا عثر على أثر من تلك الآثار ، وقد وخطه الشيب ، كان لذلك في نفسه أجمل الوقع .. وإني لكثرة التنقل في الحياة ، وبعد الشقة في الزمن ، قد فقدت كثيراً من آثار صباى ..

ولكنى عجبت ذات يوم ، وقد وقع في يدي كتاب لأبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ .. كتب على جلده اسمى فوق عبارة : « سنة أولى فصل أول » بخطى الذى كان لى في ذلك الوقت .. وما رأيت أنه يختلف كثيراً عن خطى في هذه الأيام .. لقد فرحت بذلك الأثر ورجعت بفكرى القهقرى ، وأنا أتساءل : أحقا كنا نقرأ الجاحظ في مثل تلك السن ؟! أغلب الظن أن هذا الكتاب لم يكن من مقررات المدارس في ذلك العهد .. إنما هو نوع من المطالعات الخاصة التى كنا نغرق فيها خارج الدرس .. ذلك أتى لم أنس صفحة من صفحات هذا الكتاب الذى كنت أقرؤه كثيراً في ذلك الحين مع ما كنت أقرأ من آثار الأدب القديم ، والحق أن الجاحظ وقد مضى على وفاته أكثر من ألف عام هو الأستاذ المباشر لأكثر زعماء القلم في الأدب العربى المعاصر .. لأنه رفع علم التجديد وعلم الكتاب . إن الأسلوب أداة للتعبير القويم عن النفس والفكر ، لا وشى من